الفكرة الثانية تتعلق **بمكان الفكر من الثورة ومن نشاطات الحياة الإنسانية عامة** وهي تعبر عن قناعة مؤداها ، ان **مكان الفكر بالنسبة للثورة هو كمكان الرأس من الجسم ، والفكر مطلوب في شتى مجالات العمل الثوري** . وهناك فكر عسكري وفكر سياسي وفكر تنظيمي وفكر إعلامي . ولا بد للفكر من أن يحكم الثورة والحياة الإنسانية بصورة عامة كي يتحقق النجاح في العمل ويحقق الإنسان انسانيته . ذلك أن الله ميّز الإنسان بالقدرة على التفكير وأكرمه بالعلم . فكان أن شيّد الحضارات وصنع التقدم .

ولو تأملنا ، في كثير من ظواهر الحياة الإنسانية ، لرأينا أثر الفكر فيها . لنأخذ مثلاً ، ظاهرة الأستعمار ما دمنا نتحدث عن الثورة على الأستعمار ، فنجد أن المستعمر ـ بكسر الميم الثانية ـ وظف الفكر ليسيطر على المستعمر ـ بفتح الميم الثانية ـ فقام **بدراسته ومعرفة كلّ ما يتعلق به، ثم ابتدع طرق التحكم فيه ، وأنشأ المؤسسات اللازمة لهذه الدراسة ولهذا التحكم** . ولقد كان يلفت انتباهنا دوماً ، ونحن ندرس تاريخ الاستعمار الأوروبي ، الدور الذي قامت به جمعيات الكشف الجغرافي والرحالة الذين تبنّتْهم هذه الجمعيات في عملية الاستعمار . وكذلك الدور الذي قامت به مؤسسات إدارة المستعمرات . وكنا نقف أمام **فكرة القابلية للإستعمار عند الشعوب المستعمرة** ـ بفتح الميم الثانية ـ التي طرحها في الخمسينات الأستاذ مالك بن نبي ليشير إلى أن ضعف هذه الشعوب سبق تحكم الإستعمار فيها ، وان الاستعمار من ثم هو نتيجة لهذا الضعف وليس السبب كما يتردد في المجتمعات المغلوبة ، وإن كان هذا الضعف يتفاقم ، بعد ذلك ، بسبب الاستعمار . **وواضح أن القابلية للاستعمار هي نتيجة حتمية لتعطيل الفكر عن القيام بدوره والقعود عن التفكير** . وهي تؤدي إلى أن ينقاد شعب إلى ارادة شعب آخر قد يكون أقل منه عدداً ولكن أقوى منه فكراً ومؤسسات ، تماماً كما تنقاد جمال القافلة لصبي صغير يمسك بزمامها ويمشي في مقدمتها . فالعبرة هنا ليست بالحجم وإنما بالفكر الذي يتحكم فيه . ولقد سبق إلى إبراز هذا المعنى شاعر عربي مخضرم هو العباس بن مرداس السلمي حين قال :

لقد عظُم البعيرُ بغير لب ... فلم يستغن بالعظم البعير
يُصرّفه الصبي بكل وَجْه ... ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوي ... فلا غيّر لديه ولا نكير

ونتأمل في **ظاهرة الثورة فنجد الأثر الواضح للفكر في صنعها** . وكم وقفنا أمام المعنى القائل : إن الظلم وحده لم يكن كافياً لتفجير الثورة ، **ولكن الشعور بالظلم ، الذي تبلور من خلال شرح أصحاب الرأي المفكرين ، هو الذي فجرّ بركانها** . كذلك فإن إنتصار الثورة كان يتم ، دوماً ، بفضل **قيادات وعت دور الفكر واتقنت الإستفادة منه في توظيف طاقات الثوار خير توظيف من خلال بناء مؤسسات تنظم عملية الإستفادة وتكفل إستمرارها** .

إن غياب عملية التفكير ، في مجتمع ما ، توجد فراغاً لا بد من ملئه ، إما بإجترار أفكار قديمة بالية لا تحسن التعامل مع ظروف الحاضر ، لأنها وليدة ظروف مختلفة عن ظروف الحاضر ، وإما بتبني أفكار صنعها له آخرون درسوه وفكروا في كيفية قيادته ، وتلك هي التبعية الفكرية . وهكذا يصبح المجتمع نهباً بين ظاهرتي الإنكماش والإنغماس .